د. طارق زيناي

السنة أولى ليسانس جذع مشترك

مادة الأدب العربي القديم (نثر)

المحاضرة الأولى : النثر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا

عناصر المحاضرة : [مفاهيم أولية (مفهوم الأدب – تاريخ الأدب العربي– مفهوم الجاهلية)، النثر العربي القديم تاريخيا (أصل العرب وسبب تسميتهم بهذا الاسم – طبقات العرب – قضية أوليات النثر العربي في الجاهلية)، النثر العربي القديم جغرافيا (حدود شبه الجزيرة العربية – أقسامها – صفاتها)]

مفاهيم أولية :

أ/ مفهوم الأدب :

لقد تطور مفهوم الأدب عبر العصور، وانتقلت دلالته من معناها الحسي إلى المعنى المجرَّد، وذلك يرجع لتطور العقل العربي من طور البداوة إلى أطوار المدنية والحضارة، قبل أن يستقر مفهومه الاصطلاحي، فقد كان في الجاهلية يراد به : المأدبة أي الوليمة، والداعي إليها الآدب، ومنه قول طرفة بن العبد [1] :

نَحْنُ في المشتاة نَدْعُو الجفلَى	لَا تَرى الآدب فينا ينتقر [2]

ثم أصبحت في الإسلام يراد بها معنى التهذيب والتثقيف، ففي الحديث المنسوب إلى النبي ﷺ قوله : ((أدبني ربي

[1] – الديوان، شرحه : مهدي مُحَمَّد ناصر الدين، دار الكتب العليمة، بيروت، لبنان، ط03، 2002، ص43.

[2] – **المشتاة** : الشتاء، **الجفلى**: الذين يدعون كل الناس إلى الطعام دون تسمية، ، **الآدب**: الداعي إلى الطعام، **لا ينتقر**: لا يختار أناسا دون آخرين أو لا يتذمر.

فأحسن تأديبي)) [1] ، وفي هذا المعنى يشير الجواليقي بقوله: « الْأَدَب الَّذي كَانَت الْعَرَب تعرفه هُوَ مَا يحسّن من الْأَخْلَاق وفعل المكارم مثل ترك السَّفه وبَذْلُ المجهود وحسن اللّقَاء » [2]

ثم أصبحت في العصر الأموي تدلُّ على معنى زائد؛ وهو معنَى التعليم، حيث ارتبط بطائفة المؤدبين أي المعلمين، الذين «كانوا يعلمون أولاد الخلفاء ما تطمح إليه نفوس آبائهم فيهم من معرفة الثقافة العربية؛ فكانوا يلقنونهم الشعر والخطب وأخبار العرب وأنسابهم وأيامهم في الجاهلية والإسلام » [3]،

أما العصر العباسي فأصبحت تدل على المعنيين السابقين (التهذيب والتعليم)، وأضيف لهما دلالته على ضروب من الحكم والنصائح والتوجيهات الخلقية والسياسية، كما هو ظاهر في مضمون كتابي ابن المقفع ((الأدب الصغير والأدب الكبير))وغيرها من الكتب التي عقدت فصولا في هذا المعنى، ثم توالت بعد ذلك الكتب في هذا العصر (خاصة القرنين الثاني والثالث الهجريين) ، لتدلّ على معنى معرفة كلام العرب وأشعارهم وأخبارهم ونوادرهم وغيرها ككتاب البيان والتبيين للجاحظ (ت255هـ)، وكتاب الكامل في اللغة والأدب للمبرد (ت285هـ)، وكتاب عيون الأخبار لابن قتيبة (ت 276هـ)، وغيرها من الكتب بعد هذه الفترة، والتي أصحابها فيها « ألوانا من الأخبار والأشعار والخطب والنوادر، مع ملاحظات نقدية وبلاغية كثيرة » [4]، ثم اتسعت دلالته لتتجاوز المعاني السابقة، وبخاصة ما يتصل بمعرفة كلام العرب شعره ونثره وأخبارهم ونوادرهم، لتشمل المعارف الأخرى المترتبطة بالأمة العربية وغير العربية، كما جاء على لسان الحسن بن سهل (236هـ) قوله : « الآداب عشرة؛ فثلاثة شهرجانية [5]، وثلاثة أنوشروانية [6] ، وثلاثة عربيه، وواحدة أربت عليهن؛ فأما الشهرجانية فضرب العود، ولعب الشطرنج، ولعب الصوالج، وأما الأنوشروانية فالطّب، والهندسة، والفروسية، وأما العربية فالشّعر، والنّسب، وأيام الناس.، وأما الواحدة التي أربت عليهن: فمقطعات الحديث، والسمر، وما يتلقّاه الناس بينهم في المجالس » [7]

وفي القرن الرابع الهجري أصبحت تدل على الشعراء والكتاب المشتغلين بصناعة الأدب والنثر، وأصبحت تدلُّ على

---

[1] – رواه العسكري في الأمثال، ضعفه السيوطي والسخاوي وابن تيمية وغيرهم، انظر : مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، ج01، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط01، 1992، ص 173. وإن كان معناه صحيحا كما هو ظاهر، ودليله قوله تعالى : ((وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُق عَظيم)) [القلم : 4].

[2] – عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لبابَ لسان العربً، جَ09، تح : عبد السلام مُحَمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط04، 1997، ص 432.

[3] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، دار المعارف، القاهرة ، مصر، ط24، 2003، ص 08.

[4] – المرجع نفسه، ص 09.

[5] – الشهرجانية: نسبة إلى الشهارجة أو الشهاريج وهم أشراف الفرس.

[6] – الأنوشروانية: نسبة إلى كسرى أنوشروان ملك الفرس من سنة 531-579م.

[7] – أبو إسحاق الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، ج01، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص 196.

ذلك « الكلام الجميل المؤلف بطرقة فنية تؤثر في النفس، وتستثير فيه حب الخير والفضيلة والجمال، وتبغض إليه الشر والرذيلة والقبح » [1]

وقد جاء تعريف الأدب عند مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي وافيا وجامعا للمعاني السابقة، في قوله « الأدب هو كل كلام عبر عن معنى من معاني الحياة، وجلا صورة من صوره بأسلوب جميل، ولفظ بديع، فتثير معانيه العاطفة، وتستثير بلاغته الإعجاب » [2]

ب/ تاريخ الأدب العربي :

لاشك أن التاريخ الأدبي في أي أمة من الأمم مرتبط بالواقع السياسي والاجتماعي، ولهذا نجد أن الأمة العربية قد سارت على هذا المنوال طيلة تاريخها، وترجع فائدة تقسيم الآداب إلى عصور مختلفة تسهيلا لدراستها ضمن المعطيات السياسية والاجتماعية والثقافية لكل عصر،« والمراد بعصور تاريخ الأدب هذه المسافات الزمنية التي تجمع إلى الآداب ما له بها ارتباط قوي من النظم الاجتماعية، والحالات السياسية والدينية، التي لها شأن في تصوير الأدب بصورة العصر الذي ينشأ فيه » [3]وقد اختلفت — نسبيا – آراء الدارسين في تحديد الحدود الفاصلة بين عصر أدبي وآخر « فمنهم من نظر إليه من ناحية أصالة لغته فقسمه إلى أدب قديم، وأدب مخضرم، وأدب مولد، وأدب محدث، منهم من نظر إليه من ناحية علاقته بالبيئة السياسية والاجتماعية فقسمه إلى أدب جاهلي، وأدب إسلامي، وأدب عباسي، وأدب انحطاط وأدب نهضة » [4] لكنَّ أكثر من أرخوا للأدب العربي وزعوا حديثهم في هذا التاريخ على خمسة عصور أساسية، هي :

1/ **العصر الجاهلي** : ويبتدئ قبل 150 إلى 200 سنة قبل البعثة النبوية، وينتهي بظهور الإسلام سنة 622م، وهذه تسمى الجاهلية الثانية، أما الجاهلية الأولى؛ فيشمل كل ما قبل بداية الجاهلية الثانية؛ أي ما قبل القرن الخامس للميلاد، وحقبة الجاهلية الثانية هي التي تكاملت فيها الغة العربية ، والتي جاءنا عنها الشعر الجاهلي، يقول الجاحظ مقررا هذه الفكرة : « أما الشعر العربي فحديث الميلاد صغير السن، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة.. فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له –إلى أن جاء الله بالإسلام– خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام » [5].

2/ **العصر الإسلامي** :ويبتدئ بظهور الإسلام، وينتهي بقيام إلى الدولة العباسية سنة 132هـ /750م، وهو العصر

---

[1] – غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي(قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه)، دار الرشاد، حمص، سوريا، ط01، 1992، ص 16.

[2] – الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط01، 1992، ص 01.

[3] – مُحَمَّد هاشم عطيه، الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، ط03، 1936، ص20، 21.

[4] – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط01، 1986، ص38.

[5] –أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان،ج 01، تح : عبد السلام مُحَمَّد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ، ط02، 1965ص74.

الذي تكونت فيه الدولة العربية وتمت الفتوح الإسلامية، ومنهم من جعل هذا العصر بدوره ينقسم إلى قسمين :

*عصر صدر الإسلام : ويشمل عصر النبوة وعصر الخلافة الراشدة؛ التي يتنتهي باستشهاد علي ﷺ، سنة 41هـ، وقيام الدولة الأموية.

*العصر الأموي : والذي يبدأ بتولي معاوية بن أبي سفيان ﷺ مقاليد الحكم 41هـ، وينتهي بسقوط دولة بني أمية على يد بني العباس سنة 132هـ .

3/ العصر العباسي : ومبدؤه قيام دولتهم سنة 132هـ، ومنتهاها سقوط بغداد عاصمة الخلافة على أيدي التتار سنة : 656 هـ، وبعضهم يقسم هذا العصر إلى أربعة عصور :

*العصر العباسي الأول : ويبدأ من 132هـ، وينتهي بسنة 232هـ (انتهاء خلافة الواثق).

* العصر العباسي الثاني : ويبدأ من 232هـ، وينتهي بسنة 334 هـ (استيلاء بني بويه على مقاليد الحكم الفعلية للخلافة).

*العصر العباسي الثالث : ويبدأ من 334هـ، وينتهي 447هـ (عام استيلاء السلاجقة على بغداد).

* العصر العباسي الرابع : ويبدأ من 447هـ، وينتهي 656هـ

4/ العصر التركي : ويسميه البعض عصر الانحطاط أو عصر الدول المتتابعة أو عصر الدول المتزامنة، ويبتدئ بسقوط بغداد وينتهي عند النهضة الحديثة أو بداية حكم مُحَمَّد علي باشا لمصر سنة 1220هـ / 1805 م، ويقسمه البعض إلى قسمين : عصر المماليك وعصر العثمانيين.

5/ العصر الحديث : ويبتدئ بحكم مُحَمَّد علي باشا لمصر ولا يزال.

ملاحظة : لابد من الإقرار أن هذه التحديدات السابقة نسبية، يراد منها تقريب أهم الملامح السياسية والاجتماعية والفنية والخلقية لكل عصر وإلا فإن التداخل حاصل بين الأعصر المصطلح على تسميتها بالعصور الأدبية، بحيث إنَّ « الحياة الأدبية في أول عصر من العصور، لا تكاد تختلف عنها في نهاية العصر الذي قبله في كثير؛ ذلك أن حياة الأمة وحالتها الاجتماعية والخلقية والعقلية والفكرية لا تتغير إلا ببطء وبعد مدة كبيرة تعمل فيها عوامل التغيير السياسي الجديد عملها (...) فإذا ما مضى الزمن وسارت الأيام ظهر أثر هذا التغيير السياسي الجديد في حياة الأمة وتفكيرها وتراثها الأدبي بجميع فنونه وألوانه » [1]

ج/ مفهوم الجاهلية :

لفظ الجاهلية وإن كان في الأصل صفة، فقد غلب عليه الاستعمال حتى صار اسما، والجاهلية، من حيث الاشتقاق اللغوى: مصدر صناعي، مأخوذ من "الجاهلي" نسبة إلى "الجاهل" المشتق من "الجهل"، والجهل، في اللغة : نقيض العلم أو عدم العلم أو عدم اتباع العلم وعلى هذا الأساس فالناس قبل مبعث النبي ﷺ كانوا في حال جاهلية.

[1] – مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، مرجع سبق ذكره، ص 22.

وينبغي أن نعرف أن كلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم، ونقيضه؛ لأن العرب « كانوا على قسط وافر من العلوم والمعارف، التي كانت معروفة في عصرهم كالفلك والطب واقتفاء الأثر » [1] ، إنما هي مشتقة من الجهل الذي هو ضد الحلم، أي؛ السفه والغضب والنزق والإسراف في القتل واستباحة الفواحش، واستمراء العداوة وقطيعة الأرحام وغيرها مما نهى عنه الإسلام؛ يقول مُحَمَّد هاشم عطية : « ليس الغرض من الجاهلية النسبة إلى الجهل المناقضة للعلم والمعرفة » [2] بل هي تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله جلَّ وعز وما يطوى فيها من سلوك خلقي كريم، وقد حدد ابن منظور معناها فقال : « هي الْحَال الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا الْعَرَبُ قَبْلَ الإسلام من الجَهْل باللَّه سبحانه ورسوله وشَرائِعِ الدِّين والمفاخرة بالأَنساب وَالكِبْر وَالتَّجَبُّر وَغَيْر ذَلِكَ » [3] وقد دارت الكلمة في الذكر الحكيم والحديث النبَوي والشعر الجاهلي بهذا المعنى من الحميَّة والطيش والغضَب؛ ففي سورة البقرة: ((قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ باللَّه أَنْ أَكُونَ من الْجَاهلين)) الآية : 67، وفي سورة الأعراف: ((خُذ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بالْعُرْف وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهلين)) الآيَة : 199، وفي سورَة الفرقان: ((وعبادُ الرَّحْمَن الَّذين يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْض هونًا وإذَا خاطَبَهُمُ الْجَاهلُونَ قَالُوا سَلَامًا)) الآية : 63، وفي الحديث النبوي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر وقد عيَّر رجلا بأمه: ((إنك امرؤ فيك جاهلية)) [4]. وفي معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي [5]:

أَلَا لَا يَجهلَن أَحدٌ علينا	فنَجهل فوقَ جهلِ الجاهلينا

وواضح في هذه النصوص جميعا أن الكلمة استخدمت من قديم للدلالة على السفه والطيش والحمق. وقد أخذت تطلق على العصر القريب من الإسلام، أو بعبارة أدق على العصر السابق له مباشرة وكل ما كان فيه من وثنية وأخلاق قوامها الحمية والأخذ بالثأثر واقتراف ما حرم الدين الحنيف من موبقات.

1/ النثر العربي القديم تاريخيا :

لاشك أنه لا يمكن إقامة تصورات واضحة حول النثر العربي القديم، إلّا بالتطرق إلى قضايا تاريخية ذات صلة بالتطور الزمني لهذا النثر، بل وقبل ذلك لابد من التعرف على أصل أصحابه، ونعني بهم العرب :

أ/ أصل العرب وسبب تسميتهم بهذا الاسم:

*أصل العرب :

العرب إحدى الشعوب السامية، نسبة إلى سام بن نوح، مثلها مثل العبرانيين الذين يسكنون فلسطين، والحبشيين في

---

[1] – تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ج01، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط04، 1981، ص73.

[2] – مُحَمَّد هاشم عطيه، الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، مرجع سبق ذكره، ص 06.

[3] – ابن منظور أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد، لسان العرب ، ج11، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ ، ص 130. مادة [جهل].

[4] – مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج01، تح: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، القاهرة، مصر، ط01، 1422 هـ، ص 15، الحديث رقم [30].

[5] – الديوان، تح : إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط02، 1996، ص78

الحبشة (أثيوبيا والصومال)، والآراميين في الشام، والآشوريين والبابليين الذين يسكنون العراق، والفينيقيين على سواحل سوريا مما يلي لبنان، وقد اختلف المؤرخون في أصل موطنهم الأول « فزعم بعضهم انها شطوط الفرات، وآخرون أنها بادية العرب، وقال غيرهم إنها أرمينية، ومنهم من رأى انها الحبش » [1]، بيد أنهم لما تكاثروا وضاقت بهم الأرض تفرقوا، فتفرعت لغتهم الأم إلى عدة لهجات تختلف باختلاف الديار والأقطار، التي حلوا بها.

***سبب تسميتهم بالعرب :**

لعلماء اللغة كلام مسهب في وجه تسمية العرب بهذا الاسم ، فقيل سموا كذلك لإعراب لسانهم، أي: إيضاحه وبيانه؛ من ذلك قولهم : أعرب الرجل عما في ضميره إذا أبان عنه، ولأنه أوضح الألسنة وأعربها عن المراد بوجوه من الاختصار، قال الأزهري: رجل عربي، إذا كان نسبه في العرب ثابتا وإن لم يكن فصيحا، وجمعه العرب. ورجل أعرابي، إذا كان بدويا صاحب نجعة وانتواء وارتياد الكلأ وتتبع مساقط الغيث، وسواء كان من العرب أو من مواليهم، قال: والأعرابي إذا قيل له يا عربي فرح بذلك وهش، والعربي إذا قيل له يا أعرابي غضب؛ فمن نزل البادية أو جاوز البادين فظعن بظعنهم وانتوى بانتوائهم فهم أعراب، ومن نزل بلاد الريف، واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها مما ينتمي إلى العرب فهم عرب وإن لم يكونوا فصحاء.

وقد صار لفظ الأعرابي بعد الإسلام مما يراد به، الجفاء وغلظ الطبع، وكانوا يسمون ذلك في الرجل أعرابية، فيقولون للجافي منهم: ألم تترك أعرابيتك بعد؟ وبذلك خرجت الكلمة عن مطلق معنى البادية إلى معنى خاص يلازمها.

ب/ طبقات العرب:

لقد اعتاد المؤرخون على أن يقسموا العرب ثلاثة أقسام : بائدة، وعاربة، ومستعربة [2] :

***العرب البائدة:**

ويراد بها القبائل التي بادت واندثرت أخبارها فلم يقع إلى التاريخ شيء منها، بحكم الحروب لطسم وجديس: ومسكنهم اليمامة، أو التي أهلكها الله بغضب منه لعاد، ومسكنهم الأحقاف، وثمود في الحجر، وأميم في بادية أبار بين عمان والأحقاف، وعبيل: في يثرب، والعمالقة: وهم قبائل عدة مساكنهم عمان، والحجاز وتهامة ونجد وتيماء، وجاسم: وهي قبيلة تفرعت من العماليق، « ولا نعلم عن هذه القبائل إلا أخبارا موجزة ذكرها القرآن، وأساطير مستملحة وشّاها الرواة » [3]

***العاربة أو القحطانية:**

وهم سكان اليمن، ينسبونهم إلى يعرب من قحطان، الذي يقال : إنه أول من نطق بالعربية، وسموا عاربة، على سبيل المبالغة –كما يقال: ليل لائل، وصوم صائم، وشعر شاعر: يؤخذ من لفظه فيؤكد به– وذلك لرسوخهم في العربية كما

---

[1] – بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص08.

[2] – وهناك من الدارسين من يجعل العرب قسمين: عارب بائدة وعرب باقية، والباقية تنقسم بدورها إلى قسمين : العاربة (القحطانيون) وعاربة مستعربة (العدنانيون).

[3] – بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص 09.

يقولون، يقال : إنهم نزحوا من أراضي الفرات، والمشهور منهم دولتان؛ سبأٌ وحِمْيَرٌ، فأما سبأٌ « فقد ظهرت دولتهم قبل الميلاد بنحو ثمانية قرون، وقد بلغوا من الحضارة على قدر أيامهم مبلغا عظيما، فغرسوا البساتين، وأقاموا السدود، وحفروا الترع، وشادوا الهياكل والقصور » [1]، ثم نالهم ما نال غيرهم من الأمم التي كفرت بأنعم الله، فأهلكهم الله بسيل العرم –كما حكى الله قصتهم في القرآن– ثم جاء من بعدهم الحميريون؛ الذي يمتاز تاريخهم بالغموض والتفكك، ومن أشهر بطون حمير : قضاعة وكهلان؛ اللذين تفرعتا إلى بطون كثيرة، نزح أكثرها نحو الشمال (نجد والحجاز) كالأوس والخزرج وزبيد وطيء وكندة وغيرهم.

***المستعربة أو العدنانيون:**

وكانت منازلهم في شمال شبه الجزيرة العربية في تهامة ونجد والحجاز إلى مشارف الشام والعراق، ويسمون الإسماعيليين نسبة إلى جدهم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وكانوا بدوا أهل رحلة وضعن، اما سبب نسبتهم إلى عدنان، فلأن هذا الأخير من أحفاد إسماعيل، ومن ولد عدنان معدٌّ، ومن معدٌّ نزار، الذي تفرعت من ولده القبائل العربية المعروفة : أنمارٌ وأيادٌ وربيعةُ ومضرُ، فأما ربيعة فأشهر بطونها بكر وتغلب، فأما مضر فولد له إلياس ومن إلياس : قيس عيلان وطابخة ومدركة ، فمن قيس عيلان : هوازن وسليم وغطفان، ومن غطفان : عبسَ وذبيان، ومن طابخة : ضبَّة وتميم، ومن مدركة : هُذيل وخزيمة، ومن خزيمة أسد وكِنانة، ومن كنانة : فهر، وفهر هو قريش، التي تنسب إليه قبيلة النبي ﷺ .

ج/ قضية أوليات النثر العربي في الجاهلية :

لا ريب في أن المراحل التي قطعها النثر العربي حتى استوى في صورته الجاهلية غامضة؛ فليس بين أيدينا نصوصا نثرية تصور أطواره الأولى؛ وحيثيات انتقاله من شكل إلى آخر، إلى أن اتضحت سماته وقسماته، إنما بين أيدينا هذه الصورة التامة لبعض أجناسه كالخطابة والأمثال والحكم والوصايا وسجع الكهان والقصص، فلا نكاد نعرف من ذلك شيئا.

2/ النثر العربي القديم جغرافيا :

مما لا شك فيها أن الأدب العربي شديد الصلة بالبيئة الجغرافية التي نشأ وترعرع فيها، « وقد كان شبه الجزيرة العربية موطنه الأول؛ فيه انطلق انطلاقته الأولى، وفيه نما وازدهر » [2]

أ / حدود شبه الجزيرة العربية :

تقع بلاد العرب في الجاهلية في أقصى الجنوب الغربي من قارة آسيا، وتعرف بشبه الجزيرة العربية، ويحدها من الشمال بلاد الشام والعراق، ومن الشرق الخليج العربي، ومن الجنوب المحيط الهندي، ومن الغرب البحر الأحمر، على نحو ثلاثة ملايين كيلو متر مربع.

---

[1] – مُحَمَّد هاشم عطيه، الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، مرجع سبق ذكره، ص 24.

[2] – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، مرجع سبق ذكره، ص63.

ب/ أقسامها :

كانوا قديمًا يقسمون هذه البلاد أقساما بحسب الارتفاع والانخفاض، وأهم الظواهر الطبيعية البارزة في شبه الجزيرة العربية هي سلسلة جبال السراة، وهي أعظم جبال العرب وأشهرها، وتخترق شبه الجزيرة من الجنوب إلى الشمال، على محاذاة الساحل الغربي، فتمتد من أقصى اليمن حتى تبلغ أطراف بوادي الشام، وتقسم شبه الجزيرة العربية إلى خمسة أقسام :

1/ اليمن : وسمي بهذا الاسم لوقوعه عن يمين الكعبة إذا استقبلت المشرق، وأحيانًا يسمى اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وزروعها، وهي في جنوب شبه الجزيرة العربية، وكان يشمل حضرموت ومهرة والشّحر وهمدان ومذحج ومراد ونجران، هذه الأخيرة اعتنق أهلها النصرانية، فأراد ذو نواس إرغامهم على اليهودية فأبوا فَخَدَّ لهم الأخاديد وحرَّقهم بالنار (كما ذكرهم الله في سورة البروج).

2/ الحجاز : وسمي بهذا الاسم لأنه يفصل بين تهامة ونجد، ويتخلل أرض الحجاز كثبان رميلة وآكام خصبة، وهي مساكن القبائل، وحولها قرى وضياع، وبمنحدراتها توجد عيون مياه تنبت حولها بعض الحبوب ومراعي الماشية، ومن مدنها : مكة ويثرب أو المدينة ، والطائف

3/ تهامة : وهي الجزء الواقع غرب جبال السراة، التي تقسم شبه الجزيرة من الجنوب (اليمن)، ومن الشمال (الشام) قسمين، وسميت تهامة من التهم شدة الحرِ وركود الريح، وتسمى أيضا الغور، وتهامة قسمان : تهامة اليمن وتهامة الحجاز.

/ **نجد** : وهي الواقعة شرقي جبل السراة، من أدنى حدود اليمن جنوبا إلى السماوة شمالا، وسميت نجدا لارتفاعِ أرضها، وهي أطيب أرض في بلاد العرب، أكثر الشعراء من ذكرها والتغني بها، وفيها أرض العالية، التي كان يحميها كُليب وائل وفيها قتل.

5/ **العروض** : وسميت كذلك؛ لاعتراضها بين اليمن ونجد والعراق، وتشمل مع اليمامة البحرين وعمان.

ج/ صفاتها :

مناخ الجزيرة في جملته حار شديد الحرارة، وتكثر في نجد **رياح السموم** الجنوبية التي تهب صيفًا؛ فتشوي الوجوه شيًّا، وألطف رياحها الرياح الشرقية ويسمونها **الصبا**، وأكثر شعراؤهم من ذكرها. أما **ريح الشمال** فباردة وخاصة في الشرق؛ إذ تتحول إلى صقيع في كثير من الأحيان. والأمطار عامة قليلة؛ إلا في الجنوب حيث تهطل أمطار الرياح الموسمية في الصيف، وإلا في الشمال الغربي حيث تهطل أمطار الرياح الغربية شتاء. وكثيرا ما يتحول المطر إلى سيول جارفة في اليمن وشمالي الحجاز، وتقل الأمطار في الداخل، ومتى احتبست الأمطار جفت الأرض وأجدبت وحل الهلاك والفناء على القطعان والرِعاء، ومن أجل ذلك كثرت عندهم الرحلة في طلب العشب والكلأ، فترحل القبيلة بإبلها وأغنامها إلى مراع جديدة.

وفي الجنوب والشرق وقرى الحجاز واليمامة تكثر الزروع والثمار وتتناثر بعض الفواكه، وقد اشتهرت اليمن وما والاها قديمًا بأشجار اللبان والطيب والبخور، وتشتهر الطائف بالكروم، ولم يكونوا يعتمدون عليها وحدها في الخمر؛ بل

كانوا يعتمدون أيضا على مدن الشام، والنخلة أهم الأشجار في الجزيرة كلها. ويتردد على ألسنة شعراء نجد ذكر طائفة من الأزهار على رأسها العرار والخزامى وطائفة من الأشجار على رأسها الغضا والأثْل والأرطى والسدر "الطَّلح" والحنظل والضَّال والسَّلم.

أما الحيوان؛ فقد صور شعراؤهم كثيرا من أليفه مثل الخيل والإبل والأغنام ووحشيه مثل الأوعال والظباء والنعام والغزال والزراف وحمار الوحش وأتنه وثور الوحش وبقره، ومثل الأسد والضبع والذئب والفهد والنمر. ودارت الطيور الجارحة على ألسنتهم مثل الحدأة والصقر والنسر والغراب، وقلما وصفوا منهلاً دون أن يذكروا القطا وهو يشبه الحمام. وذكروا كثيرا الجراد، وتحدثوا عن النخل واشتهرت به هذيل التي كانت تعنى ببيوته وخلاياه. ومن زواحفهم الثعبان والعقرب والورل والضب.